MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 9-2-95
Photo No. : 231

ثمن التمهل

اصعب ما في المراحل الانتقالية هو بالتأكيد عصيانها على التحليل المتماسك. في مثل هذه المراحل، يبدو "مسلسل الاحداث" عشوائيا الى حد بعيد. اذ يأتي كل يوم تقريبا بحدث مناقض، من حيث مدلولاته الظاهرة، لحدث اليوم السابق، كما يتبين لنا منذ اسابيع عند مطالعة تطورات مسيرة التسوية السلمية في الشرق الاوسط، في لحظة تنطبق عليها بامتياز صفة "المرحلة الانتقالية".

يكفي لاظهار ذلك ادراج قائمة اهم الاحداث الديبلوماسية ابتداء من قمة الاسكندرية وانتهاء بقمة "البحر الاحمر" اول من امس، مرورا بقمة القاهرة وباجتماع دول "اعلان دمشق" في الاسبوع الفائت، فضلا عن لقاءات التفاوض بين اسرائيل والفلسطينيين. وبالطبع يمكن اعطاء صورة اكثر تعقيدا اذا اضفنا الى هذه اللائحة الاحداث الميدانية، لا سيما العمليات العسكرية ضد اسرائيل، سواء في الداخل او في جنوب لبنان، وما يستتبعها من عنف اسرائيلي ومن اجراءات قمعية تساق اليها السلطة الفلسطينية.

ما يمكن استنتاجه من هذه الصورة المركبة، بالاضافة الى كونها تؤكد بقاءنا في حالة انتقالية، هو ان الاطراف المعنيين بالصراع العربي – الاسرائيلي وبالتسوية السلمية لا يتبعون التوقيت نفسه، وان بعضهم مضطر الى تغيير ساعته بحسب هوية محدثه. هكذا نرى في الآن نفسه كل المحطات التي يمكن ان تمرّ بها مسيرة التسوية: من الجمود التام، كما على الجبهة السورية (واستطراداً اللبنانية) الى التعثّر المتكرر، كما في الساحة الفلسطينية، وصولاً الى البحث عن التكامل الاقتصادي، كما ظهر في قمة البحر الاحمر، وكما يظهر كل يوم في الاتصالات بين اسرائيل ودول عربية بعيدة عن قلب الصراع، خليجية كانت ام مغاربية.

***

بازاء هذه الصورة المركبة، سؤالان متناقضان يمكن طرحهما. الاول هو طبعاً: لماذا الاستعجال؟ والثاني هو: لماذا المماطلة؟ بطبيعة الحال، يبدو السؤال الاول الاقرب الى الصحة، لمجموعة من الاعتبارات يتعلق معظمها بالعاطفة القومية وبالفكر السائد، فيما لا يتصل الا جزء صغير منها بمبدأ البراغماتية. لكن البراغماتية اياها، ان شئنا ان تصاغ في شكل صحيح، لم تعد تسمح بتجاهل السؤال الثاني. فالاستعجال في التطبيع ليس مجرد فعل ارادي لبعض الانظمة. انه سمة اساسية من سمات التسوية السلمية، كما حددتها راعيتها منذ مدريد (لاسيما في خطاب الرئيس الاميركي الاسبق جورج بوش الافتتاحي). ولا بد تاليا من التعامل مع هذا الاستعجال كمعطى اساسي، يمكن التخفيف منه ولكن لا يمكن الغاؤه.

وعليه يصبح السؤال الحقيقي الواجب طرحه اذا اردنا الانتهاء من هذه المرحلة الانتقالية القاتلة: ما هو، في ظل الاستعجال المفروض، الثمن الذي يتوجب دفعه للتمهل في ملف واحد وهل نحن قادرون عليه؟

سمير قصير